

(التوافق النفسي والاجتماعي و أثره على شخصية الطفل)

_ د. لحميدي عادل

_ أ. بن غليسي سعاد

- جامعة قسنطينة 2

_ طالبة دكتوراه، جامعة الجلفة

ملخص:

تهدف الورقة البحثية الى التطرق الى احد المواضيع المهمة حيث ان من بين اكثر هموم الأشخاص سواء كانوا صبية او فتية او شبابا هو سوء التوافق الاجتماعي ، وهذا ما يتضح في الجانب النفسي من خلال الصراعات النفسية وعدم تقدير الذات وعدم الاستقلالية والانطواء والخجل وكثرة المكبوتات الانفعالية ..الخ، وفي الجانب الاجتماعي من خلال انعدام الصداقة والتعاون والإحسان والمودة والتقدير ، وانعدام احترام النظام ..الخ.وان من اهم أسباب سوء التوافق النفسي والاجتماعي هو انعدام استخدام برامج ايجابية هادفة لتنمية التوافق النفسي والاجتماعي سواء من طرف الفرد في حد ذاته او من طرف الأولياء او من طرف المربين والمعلمين او من طرف المختصين النفسانيين او من طرف المشرفين او من طرف المجتمع بشكل عام ، ومن بين اخطر الحوادث المؤلمة في مجتمعنا والناجمة عن سوء التوافق النفسي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التوافق النفسي والاجتماعي _ سوء التوافق _ الشخصية _ الأطفال .

Abstract:

The aim of the research paper is to address one of the most important topics. Among the most important concerns of people, whether they are boys, boys or young people, is the lack of social harmony, and this is evident in psychological aspects through psychological conflicts, self-esteem, lack of independence, introversion and shame. Etc. The social side is through the lack of friendship, cooperation, charity, affection, appreciation, lack of respect for the system, etc. The most important reasons for the poor psychological and social compatibility is the lack of use of positive programs aimed at developing psychological and social harmony, The parents, the teachers, the psychologists, the supervisors or the community in general, and among the most painful incidents

in our society resulting from poor psychological and social compatibility.

Keywords: Psychological and Social Compatibility _ Misconformity _ Personal - Children.

_ مقدمة:

يسعى الفرد بذلك دائما الى إشباع حاجاته بطرق مقبولة اجتماعيا ، كما يعبر عن انفعالاته بقدر يمكنه من مسانيرة المجتمع والتفاعل معه ، وهذا ما يساعده على تحقيق توازنه أثناء تفاعله مع محيطه المادي والاجتماعي وكل هذا لا يحدث الا بحسن تكيف الفرد وتلاؤمه مع بيئته ومستجداتها ومعطياتها ، وهذا التكيف يبدأ بتكيف الفرد مع ذاته وقدرته على حل الصراعات والتغلب عليها ، ثم تكيفه مع المجتمع وقدرته على التفاعل معه ومسانيرته وعدم اختراق معايير وقيمه ، فالتوافق ضروري لحفظ حياة الفرد النفسية والاجتماعية وسيورتها ودوامها وغياب التكيف او سوء استعماله يؤدي بالفرد الى مجالات الإحباط والصراع ويصبح مضطربا ومختلا في مظهره الجسمية والنفسية والاجتماعية ، لذا التوافق مع المستجدات والحوادث في البيئة مهم ، وله دور فعال ويساعد الفرد على تخطي العوائق والصدمات المفاجئة والاحباطات كالفشل في مجال ما أو صدمة فقدان عزيز ، مثلا ، ويمكن الفرد من تجاوز هذه المصاعب والتعامل معها بعقلانية وذكاء .

1 _ مفهوم التوافق النفسي والاجتماعي:

_ مفهوم التوافق : التوافق كما يراه "سلوتكن" مسألة معيارية مرتبطة بنوع الحضارة والثقافة التي عيش في كنفها الفرد ، فالتوافق نسبي ، وهو حالة استقرار مؤقتة للتوازن الحيوي والنفسية . ويؤكد شوبن نسبة التوافق ، الا انه يضع محكا للتوافق يقدر بمدى نمو امكانيات الفرد ومدى توظيفها وتحقيقها في الواقع ، فالتوافق كما يعرفه نجاتي هو النشاط الذي يقوم به الكائن الحي ويؤدي الى اشباع الدوافع " وبهذا المعنى يكون التوافق عبارة عن مجموعة من ردود الفعل التي يعدل بها الفرد كيانه النفسي او سلوكه ليستجيب لشروط محيطية معينة ، فهو محور النمو النفسي والاجتماعي ، وهو من اهم مطالب النمو العقلي والمعرفي والاجتماعي ودليل على الصحة النفسية للفرد. والتوافق الذي سنتطرق اليه في هذا الجانب سوف يتضمن المعنى النفسي والمعنى الاجتماعي:

_ التوافق بمعناه النفسي: هو احداث الفرد للتوازن بين الحاجات النفسية والقدرة على تحقيقها واشباعها ، واذا فشل في تحقيق الهدف يحدث اختلال في التوازن النفسي ، فهو يتضمن السعادة مع النفس والرضا عنها ، واشباع الدوافع والحاجات الاولية والثانوية ، بالاضافة الى التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة ، ويعرفه

"زهران" 1978 بانه: "عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الكبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد والبيئة" اما الخضري "1987، ص205" فتعرفه بانه "محصلة معقدة لعلاقة جدلية بين الذات بكل خبراتها السابقة وامكاناتها العقل نفسية وطموحاتها ، وبين العناصر والمعطيات الموضوعية – كما يدركها الإنسان – في المواقف المختلفة ، ويتوافق الفرد عادة مع المواقف التي يدركها على انها ميسرة لتوظيف امكاناته ، وداعمة لتحقيق طموحاته " فاتوافق النفسي مفهوم نسبي عند الافراد ، ويختلف باختلاف الثقافات والمواقف المختلفة . ولهذا واستنادا الى ما تقدم نعرف التوافق النفسي بانه "محصلة لما يقوم به الفرد من علاقات تفاعلية مع البيئة التي يعيش فيها ، الهدف منه احداث توازن نفسي بين الفرد وبيئته من اجل ضمان نمو امكاناته وتوظيفها وتحقيقها في حيز الواقع " .

_ التوافق بمعناه الاجتماعي: هو قدرة الفرد على العيش السوي مع بيئته الخارجية المادية والاجتماعية وما تمثله من قيم وعادات ومعتقدات دينيد ، اي قدرته على التوفيق بين رغباته وبين مسار القيم الاجتماعية والاخلاقية .

وهناك تعريف اخر يركز اكثر على ان التوافق الاجتماعي هو قدرة الفرد على عقد علاقات ناجحة مع الغير تتسم بالتعاون والتسامح والاحترام الى جانب التفاعل الجيد ، وقد وصفه زهران "1978" بانه ذلك التوافق الذي يعبر عنه بعلاقة تالفرد المتجانسة مع بيئته الاجتماعية والسعادة مع الاخرين ومسايرة المعايير الاجتماعية والامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي ، و تقبل التغيير الاجتماعي ، والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لخير الجماعة والسعادة الزوجية مما يؤدي الى تحقيق الصحة الاجتماعية .

اما ابو النيل ومجدة احمد "1985، ص19" فيعرفان التوافق الاجتماعي بانه "قدرة الفرد على اقامة علاقة مناسبة ومسايرة لاعضاء الجماعة التي ينتمي اليها ويحظى في الوقت نفسه بتقدير واحترام الجماعة لرائه واتجاهاته" ولهذا يمكن تعريف التوافق الاجتماعي بانه " العملية التي يتمكن بها الفرد من اقامة علاقات مناسبة مع المجتمع بما يتفق وينسجم مع القواعد والمعايير الاجتماعية السائدة فيه ، بما يحقق التوافق الصحي مع الذات والاخرين " . ولهذا تكون الصحة النفسية للفرد في مدى قدرته على التوافق الاجتماعي واقامة علاقات اجتماعية سليمة مع الافراد المجتمع الذي يعيش فيه .

2_ اهم جوانب التوافق النفسي والاجتماعي ومظاهره :

للتوافق النفسي والاجتماعي بعض المظاهر والتي تدل على ان الفرد متوافق نفسيا واجتماعيا من خلال استجابته للمواقف والمستجدات التي تحدث في حياته اليومية ومن اهم هذه المظاهر كالتالي :

أ_ مظاهر التوافق النفسي:

✓ الاعتماد على النفس: ويتمثل في قدرة الفرد على القيام بعمل دون الاستعانة او الاتكال على غيره وهذا وفق طاقته كما يشمل تحمل الفرد للمسؤولية ، والثقة بالنفس في الافعال والاقوال .

✓ الاحساس بالقيمة الذاتية: وتشمل مدى احساس الفرد بذاته ورضاه عنها وتقبلها وتقديرها ثم الاحساس بتقديرها من طرف الغير والشعور بانه مرغوب ومحبوب من طرف المحيطين به.

✓ الشعور بالانتماء : ويشتمل على تمتع الفرد واحساسه بالانتماء لجماعة معينة تتقبله وتحبه وتقدره سواء كانت الجماعة اسرة تمثل الوالدين والاخوة او .. الخ ، والفرد بطبيعته الفطرية لا يستطيع الاستغناء عن الانتماء الى جماعة او اكثر ، وهذا ما يسميه علماء النفس وعلماء الاجتماع مصطلح الجوع الاجتماعي.

✓ الشعور بالحرية الذاتية : وتتضمن شعور الفرد بالقدرة على توجيه سلوكه بحرية دون قيد ولا ضبط " غير مسير "

✓ التحرر من الميل الى الانفراد : اي عدم ميل الفرد للانطواء وانعزاله عن البيئة الاجتماعية ولا يكون مستغرقا في نفسه ، بل يكون فعالا في المجتمع وهو الذي يبدا بالتفاعل مع الغير ويكون اكثر دينامية ونشاط.

✓ الخلو من الأعراض العصبية: اي انعدام اضطرابات تشير الى الانحراف النفسي كالمشكلات السلوكية او الإدمان او الإجرام او مشكلات دراسية او اجتماعية.

ومن المظاهر الاخرى التي تشير الى التوافق النفسي "الذاتي" هناك السعادة مع النفس واشباع الحاجات وتحقيق الرغبات والتمتع بالامن والاستقرار النفسي والطمأنينة والراحة النفسية والقدرة على مواجهة المصاعب والتغلب عليها ، وقلة الاستجابات الانفعالية العنيفة والسلبية كالقلق والغضب الحاد للمواقف ، وحسن التعامل مع الصدمات الموجهة والمفاجئة والتماسك في مواجهتها .

ب_ مظاهر التوافق الاجتماعي:

✓ الاعتراف بالمستويات الاجتماعية: ويقصد به ادراك الفرد لحقوقه وواجبات الغير واخضاع بعض رغباته لحاجات الجماعة ، اي تحقيق رغباته واشباعها وفق متطلبات وقيم المجتمع .

✓ اكتساب المهارات الاجتماعية: اي سعي الفرد ومبادرته لظهار المشاعر الايجابية والمقبولة اجتماعيا نحو الغير كالمودة اللباقة في المعاملة والاحترام والتسامح والتفهم والتعاون .

✓ التحرر من الميول المضادة للمجتمع: اي عدم اظهار الفرد مشاعر السلبية وغير المقبولة اجتماعيا نحو الغير ، وعدم ميله للعراك والمشاحنة والعدوانية وعصيان الاوامر احترام الكبار او عزم التمرد عليهم عدم تحطيم املاك الغير ، وهذا مايدخل في مجال مايسمى في علم النفس الاجتماع "ي مصطلح الشخصية السيكوباتية "

✓ العلاقات الطيبة مع الاسرة: اي حسن علاقات الفرد بافراد اسرته من والديه الى اخوته ثم اقاربه والتفاعل الجيد معهم على اساس الاحترام والتقدير والتسامح والمودة .

✓ التوافق مع البيئة المحلية "المجتمع": اي التوافق الجيد مع المجتمع وشعور الفرد بالسعادة مع غيره والمشاركة في النشاط الاجتماعي و مساندة المجتمع ..الخ.

الى جانب هذه المحددات والمؤشرات للتوافق الاجتماعي الجيد هناك بعض السمات الأخرى منها الذكاء الاجتماعي والسعادة مع الغير ، عقد علاقات اجتماعية ناجحة والالتزام بأخلاقيات وقيم المجتمع ، والتفاعل الاجتماعي السليم وتقبل الغير وتقبل انتقاداتهم وسهولة الاندماج معهم ، ومساندة المعايير الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي والاساليب السائدة في المجتمع .

3_ اساليب التوافق النفسي والاجتماعي عند الاطفال:

من اجل التوافق مع مواقف الحياة التي تواجه الاطفال ، يميلون الى استخدام اساليب توافقية مختلفة ، وقد يواجهون بالاحباط الذي يؤدي الى التوتر النفسي ، مما يؤدي احيانا الى اتباع اساليب توافقية غير صحيحة – شاذة- تختلف باختلاف الاشخاص والظروف المحيطة. كما ان الصراع الذي ينشأ لدى الطفل في مرحلة الطفولة والذي يكتسبه عادة من والديه او من يقوم مقامهما في تربيته وتنشئته الاجتماعية يعتبر الاساس فسي سوء التوافق النفسي لدى الطفل ، ولكن يجب ان لايفهم من ذلك ان الوالدين يعلمان طفلهما هذا الصراع عن

وعى منهما بل ان الطرق الخاطئة التي يتبعها الوالدين في اثناء معاملة ولدتهما هي التي ينشا عنها هذا الصراع اللاشعوري عند الطفل "مرسي، 1976م"،

والاساليب التوافقية التي يستخدمها الاطفال قد تكون بالمواجهة المباشرة للمشكلات التي تعترضهم، وقد تكون اساليب غير مباشرة، اي يتخذ الفرد وسائل بديلة تكون ذات قيمة ايجابية، وقد تكون اساليب غير مباشرة يتخذ الفرد وسائل بديلة تكون ذات قيمة سلبية ...

ففي مرحلة الطفولة نجد ان الطفل الاول يتخذ كجموعة ما الاساليب للتوافق عند ميلاد طفل جديد. فمن المعروف ان الطفل الاول يكون مركز اهتمام الاسرة، وفي حالة مرضية من النشاط قبل ميلاد الطفل الجديد، ولكن بعد هذا الميلاد يفقد الطفل الاول مركز الاهتمام، ويواجه مشاكل اخرى، ولذلك يلجأ ال اختيار احد الاساليب التالية للتوافق مع المقف الجديد هي:

✓ قد يلجأ الى اسلوب المواجهة المباشرة الايجابي: حيث يساعد الطفل الاول اخاه "الطفل الثاني" او يشاركه في العابه / وهذا مايكسبه تقديرا اجتماعيا من قبل الوالدين.

✓ وقد يلجأ الى القيام بنشاطات بديلة ايجابية: وفيها يقوم الطفل بقراءة القصص او اللعب مع رفاقه وهذا الاسلوب اكثر احتمالا من اسلوب المواجهة المباشرة.

✓ قد يلجأ الى نشاطات بديلة ذات قيمة سلبية: مثل الشقاوة، والعدوان، والتخريب، او الهروب من المنزل.

✓ قد يلجأ الى اسلوب المرض "او التمارض": عندما لا يجد الطفل الاول نفعا من الاساليب الثلاثة السابقة ولم ينجم عنها ارضاء له فانه يلجأ الى هذا الاسلوب لاستعادة الانتباه المفقود، ولينبه الوالدين بانه لا زال موجودا ويحتاج الى الاهتمام.

4_ اثر الاساليب التوافقية في شخصية الطفل:

يكون الطفل في حالة استخدام اسلوب المواجهة المباشرة للمشكلة في حالة نشاط مستمر، حيث يعتبر ان رعايته لآخيه الاصغر واجبة، او ان ذهابه الى المدرسة ضروري... وهذا ما يجعله يتغلب على الصعوبة التي واجهته بشكل سليم، فالتوافق الناجح والسوي يؤدي الى بناء الانا وازدياد شعور الطفل باهميته، ويقوي شخصيته ويجعله اكثر قدرة واستعدادا لمواجهة مشكلات مستقبلية، كما ان سلوكه يصبح اكثر كاملا مما كان عليه قبل

مواجهة المشكلة ، اي ان هذا الاسلوب يسهل عملية النمو ويرقى به لاستخدام اكثر ملاءمة لمواجهة مشكلات مستقبلية اكثر تعقيدا .

اما في حالة استخدام الاسلوب البديل الايجابي ، فقد يكون توافقا منطقياً اكثر من المواجهة المباشرة ، فبالرغم من ان اختيار سلوك بديل قد ينتج عنه شعور بالفشل بالنسبة الى العائق او المشكلة التي تجنبها الطفل ، فانه من المحتمل ان يجعله يكرس طاقة اكثر غنى في السلوك البديل ، وان الشعور بالفشل في احدى المحاولات قد يكون دافعا للفرد في بذله طاقة اكثر في مجال اخر.

اما استخدام الاسلوب البديل السلبي في التوافق فهو يؤدي الى اضعاف قدرة الفرد على مواجهة المشكلة ويلجأ الى المراوغة والحيلة والتملص وهذا ما يضعف من شخصية الطفل وقد يعمم هذا الاسلوب في معالجة مشكلات المستقبل ويؤدي به الى التناقض ويصبح السلوك غير متكامل .

اما الحالات الاكثر تطرفاً فهي استخدام الطفل سلوكيات بديلة سلبية شاذة .فهو يحاول ان يخفف من حدة التوتر الناشئ عن المشكلات التي يواجهها في المجتمع بالانصراف عن المشكلة الاصلية والعيش في حياة انفعالية داخلية في عالم من الوهم والخيال . انه اسلوب نكوصي في التوافق .

فالطفل المنحرف ليعالج العوامل الاصلية التي تسبب المشكلة ، بل يعالج مظاهرها فقط، والتوافق يبتدئ مبكراً جداً لدى الفرد ولا ينتهي الا بانتهاء الحياة .. واستناداً الى ذلك فان الاسلوب التوافقي الذي كان قد استخدمه الفرد في حياته يميل الى الثبات في شخصيته ومن السهل تكراره عند معالجة المشكلات نفسها في المستقبل .

والحقيقة فانه لا يوجد شخص يستخدم اسلوب المواجهة المباشرة ، او اسلوباً توافقياً بديلاً ايجابياً في كل وقت ، فكل شخص يستخدم اسلوب المراوغة والتقهقر احياناً ، ولكن الشخصية القوية تميل الى استخدام النوعين الاولين المعتادين ، بينما ضعيف الشخصية يستخدم النوعين الاخرين في معالجة مشكلات الحياة ، مما يوقعه في الاضطراب النفسي والتوتر والقلق ، ويؤدي به الى اللجوء الى حيل الدفاع النفسي والتي تعتبر اساليب لاشعورية من جانب الفرد الهدف منها تشويه الحقيقة للتخلص من التوتر والقلق الناتجين عن الاحباطات وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها والاحتفاظ بها . وهذا هو اقصى درجات سوء التوافق النفسي والاجتماعي .

5_ التوافق وحيل الدفاع النفسي:

تعتبر حيل الدفاع النفسي محاولات للبقاء على حالة التوازن النفسي من ان يصيبه الخلل وهذه الحيل يلجا اليها الناس في حياتهم سواء اكانوا اسوياء ام شواذا ، ولكن الفرق هو ان هذه الحيل تكون معتدلة ومعقولة عند الاسوياء ، ومبالغ فيها عند الشواذ ، والفرق بين الاستجابات السوية والاستجابات غير السوية هو في الدرجة. واهم حيل الدفاع النفسي الاكثر حدوثا في مرحلة الطفولة مايلي :

✓ النكوص: هو العودة الى سلوك غير ناضج كان يجد فيه الطفل بعض المتعة والراحة حين مواجهة مشكلة ما. مثال : حينما يلجا الطفل في سن السادسة مثلا الى التحدث بلغة ابن الثانية. او التبول على ثيابه .. او الميل الى التخريب من اجل لفت انتباه الوالدين ، او التمارض من اجل العناية به .

✓ الاسقاط: وهو ميل الفرد الى ان ينسب ما في نفسه من عيوب وصفات غير مرغوبة ويلصقها بالآخرين او القدر او سوء الحظ . ومثال ذلك : اتهام الطفل غيره بانه عدواني وبأنه يوسخ ثيابه او يمص اصبعه بالرغم من ان هذه الصفات او بعضها موجودة لديه ويحاول ان ينفها عن نفسه .

✓ التبرير: وهو تعليل السلوك باسباب تبدو منطقية ومعقولة في حين ان الاسباب الحقيقية انفعالية وغير منطقية . والتبرير يختلف عن الكذب ، حيث ان التبرير لاشعوري بينما الكذب شعوري.

✓ وهو انكار الفرد لمل هو موجود فعلا لتجنب الالم وابعاد ذلك عن نفسه ، ومثال ذلك انكار الطفل لموت امه والقول انها موجودة في الغرفة المجاورة .

✓ الكبت: وهو ميل الفرد الى ابعاد الافكار والدوافع المؤلمة او المخزية المؤدية الى القلق من حيز الشعور الى اللاشعور تجنباً لمواجهتها وحماية الذات . مثال ذلك المرأة التي تعرف حقيقة خيانة زوجها وتكبت ذلك حفاظا على اطفالها، وكذلك الموظف الذي يحقد على رئيسه في العمل ويكبت تجنباً من مواجهته وفقد وظيفته .

✓ الانسحاب: وهو الهروب من مواجهة المشكلات الحقيقية، ومن مصادر التوتر والقلق ، والميل الى العزلة والوحدة لتجنب الاحباط الذي ينجم حين مواجهة هذه المشاكل .

✓ التقمص: وهو ميل الفرد الى ان ينسب الى نفسه صفات مرغوبة على غرار ما هو موجود عند شخص اخر توجد عنده هذه الصفات ، او ينسب انتماءه الى مؤسسة فيها من الصفات التي يرغب فيها او جماعة تتحلّى بصفات حميدة فهو "ابن لفلان او طالب في كلية.... او ينتهي الى قبيلة .."

✓ ردود الفعل العكسية: وهو التعبير عن الدوافع المستهجنة سلوكيا بشكل معاكس او استجابة مضادة فالطفل الذي يكره اخاه الصغير يميل الى المبالغة في حبه كرد فعل عكسي .

✓ العدوان: وهو هجوم يوجه الى مصدر خارجي قد يكون شخصا او اشياء مسؤولة عن اعاقه بالغة ، مثال : عدوان الطفل على اخيه او على ادواته او التشهير باخيه والتحدث عنه باستخفاف

✓ الاعلام او التسامي: وهو الميل الى الارتفاع بالدوافع والرغبات التي لايقبلها المجتمع وينظر اليها نظرة استهجان ، وتصعيدها الى مستوى مرغوب والتعبير عنها بوسائل مقبولة ومرغوب بها من قبل المجتمع . مثال "اعلاء اشباع الدوافع الى العدوان عند الطفل الى الرياضة والقراءة والفن .."

✓ احلام اليقظة: وهي اللجوء الى عالم الخيال لتحقيق ما عجز الطفل عن تحقيقه في الواقع .ومثال ذلك الاغراق المفرط في عالم اليقظة، فاحلام اليقظة تكون مفيدة لو كانت مؤقتة ، ولكن في حالة استمرارها وسيطرتها على الطفل فانها تقوده الى الاضطراب النفسي ، ومما لاشك فيه فان احلام اليقظة عند الطفل وتصوره لصراعاتها واحباطاتها لو انها تحققت حسب تخيل الطفل لأدى ذلك الى زوال صراعه النفسي وشعوره بالاحباط ، واحلام اليقظة في الغالب تتخيل القوة والنجاح والعبقرية والتغلب على كل انواع الصعاب فإذا ما ازدادت هذه الاحلام فإنها تسيطر عليه وتجعله حبيسها وتزيد من سوء توافقه النفسي .

وبما ان لاحلام اليقظة فائدة كأن يرى الطفل نفسه طبييا ، او طيارا ، او مهندسا مما يدفعه الى مزيد من الجهد في دراسته وتحصيله ، فقد يكون لهذه الاحلام من جانب اخر دور مخز عند الطفل وعلى المجتمع وذلك كأن يرى الطفل نفسه غنيا يملك المال والجاه مما يدفعه الى سرقة اهله او الاشخاص المحيطين به ، وهذا مايؤدي الى الانحراف السلوكي والاضطراب عند الطفل ، لذا لابد للآباء والمربين من توجيه الطفل نحو عالم الحقيقة ، وتدريبه على التفكير السليم مع استخدام الخيال في حدود معقولة ومنطقية .

6_ دور الاسرة في التوافق النفسي والاجتماعي للاطفال :

تعتبر بيئة الطفل المحيطة والتي تشكل الاسرة نواتها الاولى -بما في ذلك اسلوب تربية الوالدين-عوامل هامة في تشكيل شخصيته ، وتكوين اتجاهاته ، منذ ولادته . وتتبع افضل السبل التي تهيء له المرور عبر مراحل الطفولة الى المراهقة فالرشد بامان ، ولذلك لابد من معرفة خصائص نمو الطفل في جميع نواحي شخصيته "الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية" وان نعمل على تنميتها بالطرق السليمة .

فالطفل في السنوات الاولى من حياته يتعلم الكثير من الخبرات التي تساعد على النمو السليم ، فإذا توافر للطفل جو عائلي مليء بالحب والعطف والطمأنينة استطاع ان ينمو نموا سليما وان يتوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه .

اما اذا ساد الجو العائلي الخصام والقلق وتعددت مواقف الحرمان وحدتها بالنسبة الى الطفل ادى به الى الضطراب والصراع وينعكس آثار ذلك على شخصية في المستقبل ، فما يكتسبه الطفل في الطفولة المبكرة من عادات واتجاهات يميل الى الثبات النسبي ومن الصعب تغييره فيما بعد ، فقد اكدت الدراسات التتبعية للاطفال لان ما يكتسبه الطفل في مرحلة الطفولة من اسلوب في الحياة ومن مفهوم للذات تبقى آثاره مستمرة في حياة الفرد وفي الاساليب المختلفة التي يتعامل بها مع الناس ، ولهذا فإن "فرويد" يرد سلوك الشخص الراشد الى مرحلة الطفولة المبكرة ، ويرى اصحاب مدرسة التحليل النفسي ان السمات الرئيسية للشخصية توضع اصولها في الطفولة . والبحوث الاكاديمية النفسية تشير الى ان البيوت التي يسودها الود والتفاهم ، وتقوم علاقاتها على الثقة والاحترام والتقدير ، ويقوم اسلوب تربية الوالدين على التوازن بين الحرية والضبط هي بيوت تخرج اشخاصا أسوياء ، بعكس البيوت التي تغرس في نفوس ابناءها الكراهية والحقد والخوف فانها تخرج للمجتمع شخصيات منحرفة وجانحة وعصابية ، ويرى "برت" ان ابشع العوامل واكثرها خطرا وتدميرا هي العوامل التي تدور حول حياة الاسرة في الطفولة "فهيمى، 1967، ص68" .

7_ اهمية شعور الطفل بالامن في توافقه النفسي والاجتماعي :

يحتاج الطفل الى الشعور بالامن حاجة شديدة ، ويرى "اوسجينان" أن الطفل اذا كان في وسط مألوف يحس فيه بالامن ويشعر بوجود راشد مألوف لديه فإن سلوكه يتسم بالاتزان ، وهذا ما أكدته "آنا فرويد" :عندما قصفت مباني لندن عام 1940 باقنابل فان الاطفال كانوا يستمرون في اللعب او النوم اذا بقيت امهاتهم على قرب منهم ، اما الاطفال الذين اجلوا الى الريف بعيدين عن امهاتهم بعيدا عن القنابل .فقد اظهروا كثيرا من

القلق ، رغم المميزات الشخصية والتربوية التي كانت تمتاز بها المشرفات عليهم ممن كن يقمن مقام الامهات الحقيقيات .

وللامن عناصر اساسية منها : المحبة ، والقبول ، والاستقرار، فشعور الطفل بمحبة من يحيطون به ، وحب امه له شرطان ضروريان لتوافقه النفسي ليس في الناحية الانفعالية فحسب بل وفي الجانب البيولوجي والفكري ايضا ، وقد اثبتت الدراسات ان الطفل المحبوب سعيد ومتوافق نفسيا واجتماعيا ، ولكن الحب يجب ان يكون حقيقيا ، صادرا من القلب وليس مزيفا ، ولكن الحب لا يؤدي مفعوله في اشعار الطفل بالامن الا اذا احس الطفل بانه اذا احس الطفل بانه مقبول في عائلته ، ويتحلى هذا القبول بشعور الطفل بان له مكانة في المنزل وان والديه يضحيان من اجل سعادته مما يشعر الطفل بانه مرغوب فيه ، وان هناك روابط قوية تربطه باسرته .

كما ان من شروط الامن والتوافق النفسي والاجتماعي ، استقرار الوسط العائلي ، فإذا كانت البيئة العائلية ثابتة ترحب به ، والاياليب التي يعامل بها مستقرة ساعد ذلك على نموه نموا سليما وتكييفه مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بشكل مناسب . اما اذا كانت البيئة العائلية التي يعيش فيها الطفل مضطربة ، وكان هناك اختلاف في الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل ادى ذلك الى سوء التوافق النفسي والاجتماعي لدى الطفل وزعزعة الكيان النفسي لديه . كما ان ثبات واستقرار العلاقات المتبادلة بين الوالدين "كزوجين" من العوامل التي تساعد الطفل على الامن النفسي وتوافقه : فالاتزان العائلي يترتب عليه غالبا اعطاء الطفل ثقة في نفسه وثقة في نفسه وثقة في العالم الذي يتعامل معه بعد ذلك وبدراسة ما يزيد عن "300" حالة من حالات الاحداث الجانحين تبين ان 75 بالمئة ، تقريبا من الحالات يرجع فيها الجنوح والتشرد الى انهيار صرح الاسرة ، وهذا مايدل على ان تماسك كيان الاسرة له اثره المباشر في التوافق النفسي والاجتماعي للابناء "القوصى، 1975"

كذلك الحال فان استقرار الطفل في المسكن والمدرسة التي يحافظ من خلالها على ادقائه وعلاقاته مع الاخرين يوفر الامن والامان للطفل "فهيم، 1967" فدرجة الامن التي يحس بها الطفل ذات اثر كبير في رشدته وتوافقه او عدم توافقه نفسيا واجتماعيا . ولهذا فإن البيت المتماسك المنسجم يوفر للطفل الحب والامن والتقبل والطمأنينة ويثير فيه الثقة بالنفس ، ويدربه على الاستقلال ، وتحمل المسؤوليات والتبعات الناضجة ، ويوفر له الإشباع المتزن المعقول . كما ان المدرسة التي تعد الفرد للحياة بما توفره من ظروف تعمل على تنبيه امكاناته وتنمية فاعليته مع المجتمع .

بالإضافة الى المجتمع ومافيه من تقاليد وعادات ومثل عليا ونظم اجتماعية مختلفة تتيح الفرص المتكافئة لجميع افراده لممارسة الحياة على نحو ايجابي فعال ، في العمل المناسب المنتج ، والحرية الواجبة ، والثقافة البناءة ، فضلا عن توفير الشعور بالولاء والانتماء والعدل في توزيع المكاسب والتضحيات "المغربي، 1992"

8_ اسباب سوء التوافق النفسي والاجتماعي عند الاطفال :

لماذا يحدث سوء التوافق عند الاطفال ؟

ان سوء التوافق يحدث نتيجة احباط الدوافع وعجز الطفل عن اشباع حاجاته . وسوء التوافق عند الطفل لا يكون مرتبطا باحباط دوافعه بشكل مباشر بل ان عوامل اخرى كثيرة تسبب سوء التوافق عنده .

فالصراع الذي يتعرض له الطفل والذي يحاول بعدة وسائل مواجهته والتغلب عليه يولد احيانا استجابة فسيولوجية داخلية ، بالإضافة الى الاضطرابات السلوكية الاخرى ، والاستجابة الفسيولوجية تعني ان الطفل يصبح في حالة توتر واستثارة للتعامل مع الصراع مما يجعله اكثر عصبية وقلقا ، وخوفا وانزعاجا ، وغضبا ، واحباطا .

فالطفل عندما يولد له اخ صغير ، يشعر بان هذا الصغير اتى ليحل محله ويسلبه العطف والحنان والاهتمام من والديه والذي كان يحصل عليه قبل ولادة اخيه الصغير ، إن هذا الوضع يسبب للطفل الاكبر قلقا واضطرابا في النوم ، وتصبح علاقته وتصرفاته غريبة ، وحركاته مضطربة ، كما انه يمتنع عن الاكل ، كل ذلك قد يؤدي بالطفل الاكبر الى ضرب اخيه الأصغر ومحاولته التخلص منه بالضرب أو بالخنق ليعود اليه والداه وحنانهما الذي يشعر انه فقده .

كما ان عيش الطفل مع احد والديه نتيجة الوفاة او الطلاق وخاصة مع زوجة الاب يشعر الطفل بالحرمان من امه التي كانت معه دوما ، كما يشعر بانه منبوذ من قبل زوجة الاب وانها تعامله بقسوة ، فيؤدي الى شعوره بالاكنتاب والاحباط او يهرب من المنزل ليلتحق بأقران السوء ويكون السبب في انحرافه واضطراب سلوكه وسوء توافقه النفسي والاجتماعي .

كما ان غياب التوجيه من قبل الام والاب في مرحلة نموه وتطوره يعرض الطفل للضغوط النفسية والقلق النفسي ، ويتسم شعوره وممارسته بنوع من عدم الشعور بالندم والذنب لأي شيء يمارسه بشكل خاطئ كما انه لا يشعر بالمودة او العطف والاحترام لأي شيء يفعله ، بل ان الحالة قد تتطور الى ان يصل الى مرحلة عدم الشعور بالقيمة الذاتية له ولغيره .

زد على ذلك فإن اساليب التربية الخاطئة تؤثر تأثيرا كبيرا في تكوين الطفل النفسي والاجتماعي وتسبب له سوء التوافق ، فالحمان من رعاية الام او الاب سواءا كان حرمانا كاملا ، او جزئيا وخاصة في السنين الثلاث الاولى من عمره يعرض الطفل لأذى بالغ الخطورة ، ويتجل ذلك في تعطل النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي ، كما يؤدي الى اضطراب في النمو النفسي حيث يحصل لديه اضطراب في تكوين الانا والانا الاعلى . وقد أكدت دراسة "جون بولبي" ان اضطراب كثير من الجانحين يرجع اساسا الى العلاقات المضطربة التي تكونت بسبب انفصال الاطفال في سن طفولتهم المبكرة عن الام . كما ان شعور الاطفال بانهم مهملون ومنبوذون وخاصة في المراحل الاولى من حياتهم يؤثر تأثيرا بالغا في توافقهم النفسي .

بالاضافة الى ذلك فان افراط الابوين في التسامح مع الابناء يؤدي الى آثار سيئة في التكوين النفسي للطفل ، اذ يكبر الطفل في العمر ويسلك سلوكا يدل على انه مازال صغيرا ، ان مثل هؤلاء الاطفال لا يستطيعون الابتعاد عن امهاتهم فهم يريدون من الام ان تكرر كل وقتها لهم من الصباح حتى المساء ، فهؤلاء الاطفال لم يتعودوا الاحباط والفشل في حياتهم ، وعندما ينتقلون الى عالم الواقع يصطدمون بعواقب كثيرة مما يترتب على ذلك التعرض الى الاضطراب النفسي وسوء التوافق

كما ان صرامة الاء وقوستهم لدرجة ان كلمة "لا" تكون دائما على لسانهم بالاضافة الى انهم يطلبون من ابنائهم القيام باعمال صعبة تفوق طاقتهم مما يجعلهم يشعرون بالعجز والقصور ويوقعهم في الاضطراب النفسي ويؤدي الى سوء توافقهم .

زد على ذلك طموح الاء الزائد وشعورهم بالضيق عندما لا يستطيع ابنائهم ان يحققوا ما يصبون اليه ينتج عنه ان يصاب الاء بنوع من الباردة العاطفية . ويحدث لديهم رغبة في المقاومة السلبية ، وكلما زاد الاء دفعها لابنائهم كلما تقاعس الاء وزادو من رغبتهم في التخلف ودفع الطفل الى عمل من الاعمال دون مراعاة لقدراته وامكاناته يعرضه للفشل مما يؤدي بالطفل الى الشعور بالنقص ويعرضه للاضطراب النفسي وسوء التوافق .

خلاصة:

ان ظروف الحياة في حالة تغير مستمر وهذا ما يضطر الكائن الحي الى تعديل استجاباته كلما تغيرت ظروف البيئة التي يعيش فيها ، كما يضطر احيانا الى احداث تعديل او تغيير فيها . وهذا يعني بأن الحياة تتضمن القيام بعمليات التوافق بشكل مستمر ، ويرى دسوقي "1974" ان علم النفس هو علم دراسة التوافق وما دام الكائن الحي قادرا على القيام بهذا التوافق المستمر ، فهو يستطيع الحياة والبقاء ، اما اذا عجز عن القيام بهذا التوافق

فسيؤدي الى الاضطراب والمرض , وقد يؤدي الى الهلاك .وبما ان التوافق يتطلب تغييرا في سلوك وتفكير واتجاهات الشخص ، فهذا يفرض عليه ان يكون على درجة كبيرة من المرونة والقابلية للتعديل والتغيير ، فإذا عجز عن اشباع دوافعه تعرض للاحباط والفشل ، اما اذا اصطدمت رغباته مع رغبات المجتمع فانه يسعى الى استعادة التوازن والانسجام ويعدل سلوكه ليتوافق مع سلوك الجماعة ، وذلك باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية ، او يقوم بتغيير بعض عاداته واتجاهاته ليوائم الجماعة التي يعيش فيها ، ويسمى ذلك بالتوافق الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1_ حدادو محمد الامين ، كيف ننهي التوافق النفسي والاجتماعي باللعب ، دار هومة للنشر والتوزيع ، 2015، الجزائر
- 2_ دسوقي ، كمال.علم النفس ودراسة التوافق، القاهرة :الاهرام،1993.
- 3_ الرفاعي ،نعيم : الصحة النفسية-دراسة في سيكولوجية التكيف-دمشق:1988.
- 4_ زهران ، حامد عبد السلام.الصحة النفسيةوالعلاج النفسي، القاهرة :عالمالكتب ،1974.
- 5_ زهران، حامد عبد السلام، علم النفس النمو، القاهرة ، عالم الكتب ،2000.
- 6_ عبد القادر ، محمود.التوافق النفسي والاجتماعي ، الكويت ، 1975.
- 7_ عبد الفتاح يوسف ، بعض مخاوف الاطفال ومفهوم الذات لديهم –دراسة مقارنة –مجلة علم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد21، يناير، فبراير ، مارس 1992.
- 8_ محسن خليل ، الامراض العصبية والنفسية عند الاطفال والاولاد،-اسبابها وطرق علاجها.بيروت:دار الكتب العلمية ،1988.